

تحليل الخطاب في النصوص السردية ذات البعد الثقافي : دراسة تطبيقية للنص المختار

By

Adebisi Toyiyb Abdulwahid mniti

Researcher, Department of Arabic & Transnational Studies

University of Ilorin

toyiybadebisi@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة النصوص السردية ذات البعد الثقافي من خلال مقارنة تحليل الخطاب (Discourse Analysis) بوصفها منهجاً لغوياً وتداولياً واجتماعياً في آن واحد. اعتمدت الدراسة على تحليل مستويات متعددة: المستوى المعجمي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي، المستوى التداولي، والمستوى الثقافي-الاجتماعي، بهدف الكشف عن آليات إنتاج المعنى، وكيفية تشكّل الهوية، وتمثيل القيم داخل النص. توصلت الدراسة إلى أن الخطاب السردى ليس مجرد بناء لغوي، بل هو أداة ثقافية لإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية، وتثبيت القيم، وصياغة التصورات الفكرية للجماعة. وتوصي الورقة بضرورة توسيع الدراسات الخطابية العربية عبر استثمار أدوات التحليل الحديثة وربطها بالتراث النقدي العربي. علماً أنّ النص المختار هو ترجمة الباب الأول من رواية "إرنكيزندو في غابة أيلينجي" للروائي اليورباوي د.أو. فاغنوا. الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب، النص السردى، المستوى المعجمي، التداولية، البعد الثقافي.

Abstract

This study investigates culturally oriented narrative texts through the lens of Discourse Analysis as a linguistic, pragmatic, and socio-cultural approach. The research examines five analytical levels: lexical, syntactic, semantic, pragmatic, and socio-cultural, aiming to uncover mechanisms of meaning-making, identity construction, and the representation of values within

discourse. Findings reveal that narrative discourse is not merely a linguistic structure but a cultural tool for reproducing collective memory, consolidating values, and shaping communal worldviews. The paper concludes by emphasizing the need for further Arabic discourse studies that integrate modern analytical tools with the rich legacy of Arabic criticism.

Keywords: Discourse analysis, narrative text, lexical level, pragmatics, cultural dimension.

المقدمة

يمثل تحليل الخطاب (Discourse Analysis) واحدًا من أبرز المقاربات اللغوية الحديثة التي تزوج بين اللغة والسياق، إذ لم يعد النص مجرد جمل مترابطة، بل خطابًا متكاملًا يتجاوز حدود البنية اللغوية ليمتد إلى البنية الثقافية والاجتماعية. ويمثل هذا المنهج دراسة النصوص السردية ذات الأبعاد الثقافية؛ فهي نصوص تنبني على معجم محمل بالدلالات، وتراكيب تترجم منظومة فكرية، وتداوليات تكشف عن مقاصد المتكلمين، كما تعكس المرجعيات الثقافية التي أنتجتها.

تنبع إشكالية هذا البحث من السؤال المركزي: كيف يُنتج الخطاب السردى معنى ثقافيًا وهوية جمعية عبر مستويات التحليل المختلفة؟ ومن هنا تتفرع أسئلة فرعية: ما أبرز السمات المعجمية والتركيبية التي يوظفها النص السردى؟ كيف يتجلى المعنى الظاهر والضمني في السياق الثقافي؟ ما هي الأبعاد التداولية في النص من حيث الأفعال الكلامية والإقناع؟ كيف يعكس النص السياق الاجتماعى والثقافى للجماعة؟

الإطار النظري

مفهوم الخطاب

الخطاب في أبسط تعريفاته هو استعمال اللغة في سياق اجتماعي. وقد تطور هذا المفهوم من كونه مجرد نص إلى اعتباره ممارسة اجتماعية وثقافية.

نشأة تحليل الخطاب

ظهر تحليل الخطاب في ستينيات القرن العشرين مع اللسانيات النصية، ثم تطور مع ميشال فوكو الذي نظر إلى الخطاب باعتباره أداة سلطة ومعرفة. كما قدّم تيو فان دايك (van Dijk, 1997) نموذجًا اجتماعيًا إدراكيًا لتحليل الخطاب، بينما ركّز نورمان فيركلوف (Fairclough, 1992) على البعد النقدي.

المدارس العربية

شهدت الساحة العربية جهودًا في استثمار أدوات تحليل الخطاب، خصوصًا مع أعمال باحثين مثل تمام حسان (٢٠٠٦) في ربط اللغة بالسياق، وعلي فهي خشيم، ومحمد مفتاح في دراسات النص والخطاب.

النص المدروس (المترجم من اللغة اليوربا إلى اللغة العربية)

دخل إِرْنَكْيَرْنَدُو

الدنيا مليئة بالعجائب، وليس من إله مثل الله، له ملكوت السماوات والأرض، والدنيا بنفسها عجب، وفي الدنيا علم الإنس أولي رجلين، وحيوان ذوي أربعة أرجل، والحيّة المنبطحة على بطنها والحيتان في الماء، والطير يغني كالصغير، والذي ألبس الله أنواعا مختلفة من الثياب.

الأرض والسما، الشمس والقمر، الفضاء والتراب، كل هذه عجيبة. حتى حديثنا داع للعجب، أيها الناس! أودّ أن أحدثكم اليوم بما سمعت يومئذ، وأريده أن يجد مكانا في عقولكم، وتقضمه كالطعام، خصوصا أنتم الطلبة، فتستمعون به استمتاعكم بمرق الدجاجة والذي جهّزه بكر خبيرة بشأن الطبخ وشوّهته بأحسن تشويه.

ذات ليلة، إذ سمعت قطرات المطر في جوف الليل فقمّت من مرقدي وألقيت النظر إلى الخارج فرأيت الأجواء مظلمة، وذلك في وقت بزوغ القمر، وكأنّ الفضاء أوعدت بني الإنسان ألا تريهم نورا أبدا. رقدت الدجاجات، والهواء تهبّ

بهدهوء وبرء؁ والفئران تأكل بقايا الطعام في الممر؁ إذا لم ينتبه الإنسان لا يكاد يسمع همسات أفواهها؁ لكنّ العنقاء تصيح أحياناً؁ وسمعت صوت "إيلول"؁ وكادت تصيبني الحفاس على رأسي بجناحها لأنّ جوف الليل وقت استمتاعها. تبرق البرق كما أنظر إلى الخارج أحياناً؁ وأبصر الأماكن التي ما تمكّنت من رآيتها حين تبرق البرق؁ ولمّا طاف بي التفكير؁ ما شعرت حين نطقت في العالم الخارجي وقلت: "العالم ليس بالتساو؁ يأكل الفلاح في الكوخ أنواعاً من الأطعمة؁ في الحين يشرب الحمال العجين في الطرقات؁ ويجلس الملك على العرش حين لا يجد الفقير الكرسي يقعد عليه؁ يتجوّل المنيء جيها كما يتجوّل الفقيد الجائع؁ في الحين الذي يحتفل البعض في سرور والبعض الآخر باكين في حزن عميق. آه! إن الله حكيم بتدير أمور مخلوقاته".

ما انتهيت من حديثي إذ أجابني أحد فجأة من جانب جدران بيتي قائلاً: "هكذا؁ لا تتعجب من ذلك يا صديقي أوجو فيرئيسي؁ إذا لم تكن الأمور على تلك الصورة لكان كل بني الإنس ذا قناعة؁ لاستقروا في مكان واحد كالماء الراقد؁ فمن اكتفي بما نال من الدنيا توقف عنه التمتع؁ والذي لا يسعى نحو التقدّم في الحياة كالميت؁ ولو ملأت الدنيا سرورا لما أدرك الإنسان كيفية مواجهة الأحزان؁ ولو أنّ الدنيا مكلّة بالأموال لما شُعر بحالة الفقراء؁ وإذا كانت الدنيا خالية من الهزيمة لمّا عرف الإنسان كيفية الابتهاج عند الانتصار؁ لذا يا صديقي أوجو فيرئيسي؁ والله الحكمة العظمى في مخلوقاته".

خفت لما سمعت هذا الكلام؁ سلّمنا الله من صديق غريب يجيبنا في جوف الليل. رأيت الرجل بعد ما أنهى من حديثه بإبراق البرق نحو إصدار الصوت؁ فرأيتة راقداً جانب جدران بيتي؁ عليه ثوب صغير كثوب الصياد وأسند بندقيته إلى الجدار.

استغربت من الأمر، هلا أسأله عن مرامه، فانفجر مطر غزير ودقّ الرجل على بابي قائلاً: "افتح لي الباب يا صديقي" ففتحت له الباب.

علمت بمكانته بعد ما دخل، لأنّ شخصية السارق تختلف عن النبيل، وكلام السارق مختلف عن كلام الصياد الجريء. تبادلنا التحيّة وناولته الكرسي وجلس، وجلست كذلك وصرّفت انتباهي نحوه، وناشدني أن أقدم له الماء ليشرب فقمّت وناولته الماء. قعدت لما فرغ من شرب الماء، فأردت أن أسبر سبب رؤيتي إياه في جوف الليل إذ شرع في الكلام قائلاً:

"كل شيء في الدنيا على مقياسه؛ الجذر أصل الشجرة، المنبع أصل الماء، البيض أصل الديك، رؤيتك لي في هذه الساعة من الليل لسبب مهمّ. أنا الرجل المسعى إِنْكَيْرُنْدُو السّاكن في بيت أَلْرِنْكِرِيⁱⁱⁱ. لقد طال عهدي بالبحث عنك، ما تركت مكاناً على وجه الأرض إلا وبحثت عنك، لأنّ أبي قد أوصاني بإيجادك قبل وفاته وألحني على أن أجد السبيل إليك قبل أن تحين وفاتي، وأقصّ عليك ما قد عايشته في مغامراتي، لتخبّر بني الإنسان، لتسنع لهم فرصة ازدياد على خبراتهم، وفي هذا اليوم وجدت من أشار إلي بيتك وأتيتك على هذا الشكل، ولكنك دخلت عليك لولا أنني كرهت على نفسي الدخول في جوف الليل، وصلت بيتك في جوف الليل في الحقيقة. لهذا؛ سررت كثيراً بلقائك. ليطيل الله عمرنا، وهذا اللقاء دليل على أنّ صداقتنا تكون متينة، لأنه لو كنا على علاقة من قبل، لما أكرمتني فوق هذه الكرامة، أشكرك".

هكذا عبّر الرجل، ولما أفرغ من حديثه، شرعت في الكلام وقلت: "يا صديقي إِنْكَيْرُنْدُو، أنت الذي لقيت بهذه السهولة! الحمد لله. سمعت بك من زمان، وكم اشتقت للقاءك لكن بلا جدوى، علمت بمغامراتك على وجه الأرض ساعياً وراء الحكمة، وكيف أحبّك والدك واعتنى بك اعتناء والوالد لابنه. حتى ملأت شهرتك أنحاء العالم، فازددت بهجة بهذا اللقاء. وحول الذي قلت، فأمر هيّن، لكن لنعجل

الأمر إلى الغد، وسأخذ أدوات الكتابة صباحا وأسجل كل ما تريد. مرحبا بك، أهلا وسهلا".

هذا ردّ قولي للرجل، ما دام قد رقد الجميع، وأنا الوحيد الذي لم يدق النوم بعد، وأنا الذي سخّنت المرق وبحثت له مأكلا. بعد ما فرغ من تناول الطعام، جهّزت له غرفة من غرف بيتنا ولحاف، وحي بعضنا البعض بليلة سعيدة ودخلت غرفتي. النوم المبكر يستدعي الاستيقاظ مبكرا، كنت آخر من استيقظ في اليوم التالي. جمعت أدوات الكتابة ودنيت إلى مقعدي بعد إفطارنا وناديته إلى جانبي ليقصّ على قصة حياته. فشرع في القصة قائلا:

"يا صديقي، لا تنسى ما سأخبرك الآن أبدا، فاحتفظ بها، فكلّ شيء على وجه الأرض له نهاية، النهار نهاية الصباح، والليل آخر النهار، والموت نهاية الإنسان، والمزلة نهاية الطعام، والشتاء نهاية الصيف، والأطلس نهاية أبحر الأرض. نعم؛ فخلق الإنسان نهايته، والذي يحسن إلى أخيه حتما يغرس نباتا حسنا، وإذا قطف ما حصد ترى أعين الأشرار ترمق. والكرم عاقبة المنفق، وعاقبة البخيل الذلّ، والجواد في طيب العيش، وكثرة الإنفاق لا تقلّل من الغنى، لأنّ حاجة المنفق تقضى دائما حتى ولو كانت الدنيا أقلّ من القرعة. لكنني على اليقين أنّ الإسراف يختلف الجود، لأنّ المسرف من ينفق في غير موضعه، والندامة عقبى المسرف، لكن مع ذلك، فللمسرف استمتاعه الخاص، فالمسرف ينفق على نفسه، لكنّ البخيل يسخّن ويأكل مرقا بعد عشرة أيام، لقد اندهشت من كثرة انفاقك منذ حلولي يوم أمس، فستحصد ما تزرع يوما بلا شك، أشكرك شكرا جزيلا، ليدوم الربّ صداقتنا للأبد.

ولما فرغ الرجل من حديثه، أجبته قائلا: "إِرْنَكْيِرُنْدُو، شكرتك كثيرا. فالأمر لا يخرج عن طبيعته، فلا تقارن حنكة الجوال في البلدان بالراقد في مكان. الفلاح النظيف عند أهل المدينة وسيخ. كما أخبرتك في البارحة أنه طال الزمن وقد سمعت بك،

ويقول الصغير والكبير عنك أنّ "إِرْنَكْيِرْنَدُوْ لَحْكِيم". لذا شكرتك على مقولتك هذه، والناكر للمعروف كثير في عالم الدنيا، فهم كالحية بين بني الإنسان. هل عرفت أنّ الذي أعرنا الفلوس لما به من أزمة مالية قد يأتي فيما بعد ويقول إنك أعرته لما بك من الحمق! مع ذلك، فأمثال هؤلاء كثير. كانوا كالأحجار الضخمة تعيق طريق الخلف. أفسدوا الطريق، فمن كان لقي بهم في السابق فلا يرغب في مساعدة أحد أيضا. والذي أحث الناس ألا نسيء إلى الناس من أجل الأشرار، لأننا لو أردنا معاقبتهم فقد تصيب البريء، وقد نطعن في الحرّ البريء لو أبينا الإحسان مطلقا، فالمهمّ هو ألا ننفق كالبلبد، فلا نجعل المعروف في غير عرضه، فنحسن لمن يستحقّه ويقدره. وكثير الكلام حتما يصاحب الكذب، لذا؛ فلا أطيل الكلام، أشكرك لأنك شاكر للمعروف، فما بدأت بالإحسان بعد إذا ما قرنت بغيرك ممن قد استضفنا في دارنا.

بعد ذلك؛ شرع الرجل في قصة حياته قائلا: " أنا إِرْنَكْيِرْنَدُوْ الساكن في بيت الرنكري. كان أَكْرَأُوْغُنْ^{iv} الذي جاءك يومئذ من أقربائي، وكنا فوق ذلك أقران. أبي هو المسمى أَيْنْدِيْبُوْ^v المسؤول في بيت الرنكري. تزوّج أينديبو بأمي المسماة إِينْيَايِي المولودة في أسرة أَكْرَأُوْغُنْ. أرسلني أبي إلى سفر في الوقت الذي يستعدّ أَكْرَأُوْغُنْ والآخرون الذهاب إلى جبل لنبدو. ولم تسرّ أمي أنيائي بأمر السفر لأنها تودّ أن أسافر مع الذهابين إلى جبل لنبدو، وأودّ ذلك أيضا، لكن ما دام يلحّ والدي بذهابي إلى حيث أرسلني، فليس بوسعي ووالدي شيئا نفعل. أمرني أبي أن أرجع أخي الصغير الذي أبى العودة إلى البيت. أخي هذا ليس من أمي، إنما هو ابن عمّي، وكان شديدا.

لما أستعدّ لمغادرة البيت، دعاني أبي إلى الغرفة، ولما دخلت عليه أمرني بالاقتراب منه ففعلت، ثم وضع يده على كتفي وقال: "يا ابني إرنكرندو، أوكد لك اليوم أنه ليس فوق الأرض أحد أحبّ ابنه مثل حبي لك، ومنعي أياك لاتباع الأقران إلى جبل

لنبدو لسبيين، فالسبب الأول، خوفاً على أخيك الصغير إذ لا أريد أن يضيع عن أصله، والسبب الثاني: أريدك أن تزيد توسّعاً وثقافة، لأنّ الساكن في القرية لا تتعدى حكمته فوق القرية، والإنسان وليد بيئته، لكنّ الذي يتجوّل هنا وهناك سيزيد ثقافة على الكثير.

"يا بني، فأمر السفر شاقّ. فالذي شرع في المغامرة حتماً جهّز لنفسه التعب والمشقة، لأنّ الذي كان ينام على السرير قد يجد نفسه راقدًا على الأرض، وقد يصير الذي يأكل الطعام باللحم شارب العجين بلا شيء، وهكذا قد يلعنك الذي تكبر منه بكثير، فادفع ما حقها الدفع من الإهانة، واحتمل التي تستدعي الاحتمال.

"فلا تنس جميع ما أخبرتك يا بني، ليجدّد الرب لقائنا، إذا ما جدّد الرب لقائنا فسألقي النظر عليك أيضاً، لكنّ الموت يأتي بغتة، والأمراض تفجع، فالله وحده على علم بوقت الرحيل. فإن رجعت وسمعت بخبر وفاتي، فلا تأسى على ذلك، فكن رجلاً واحمل مسؤولياتي. واحتفظ بحسن الخلق في باقي حياتك، فلا تتشارك مع الطماع، لأنّ الطماع تجاوز حدّ ربّه، فأمره كالسكير الذي يزور لاغوس لأولى مرّة، فركب القطار، فنزل لما وصل "إدو" وتوجّه نحو لاغوس، ولما بلغ الجسر فوق ماء "أوسا" أخذ ينظر هنا وهناك، وما توجّه حيث مرماه، أخيراً نتوفّق على الجسر وينظر من فوق الجسر، ثم ركب على حديد بين أطراف الجسر يضحك، ثم ركع ويميل سكراناً، فانزلقت يده عند ميله وانقلب إلى الماء، أبصرته السمكة فهضمتها، ورأت الدابة الضخمة السمكة فهضمتها، ورأت الحيّة الكبيرة الدابة فهضمتها، وزارت السمكة من بحر "أوكُن" الأسماك في بحر "أوسا" فرأت الحيّة فهضمتها، ولما رجعت السمكة إلى بحر "أوكُن" وقد ازدادت سمانّة، فرأتها سمكة أخرى فهضمتها كذلك، أخيراً؛ رأي صيادو السمك هذه السمكة فقتلوها، وحملوه إلى البرّ، فقطعوها فإذا بسمكة أخرى داخلها، فقطعوا الثانية ووجدوا الحيّة، فشجّوا

الحية فإذا بالدابة وقطعوا الدابة فرأوا السمكة فقطعوا السمكة فإذا بجثة السكير كالطماع الذي يسعى وراء ممتلكات الغير وسعى حتى أصاب بعينه الشجرة. فاحذر من الطماع واجتنب منهم، فالطماع أسوأ من السم.

سأكتفي بهذا القدر، أستعين بك الله، وسيزيل عنك ربك الأعباء، ويعيدك من إبليس، ويحفظك من مكر الماكرين، ولا تلتقي بالشرير في رحلتك، ولا تتشارك مع من يصيبك بالسوء، وينجيك الرب من الكوارث والحساد، ويصرف عنك السوء، ولن تخرج يوم تصيب الناس المصائب. وداعا، وداعا، وداعا يا بني."

"هكذا عبّر والدي، ولما أفرغ من حديثه قلت: "أه، يا أبي، خوّفي حديثك معي، لو كان الميت رحيمًا فلا يقطفكم فجأة، فإنك خدمتني بجميع حياتك، واعتنيت بي بجميع ممتلكاتك، ولم يبق شيء على وجه الأرض إلا ودللتني به. وكيف بالمرض الذي أصابني حينئذ! وهل لوجودي من سبيل لولاك؟ أه! المرض الشديد الذي كاد يقتلني! حيث غمرني البرد، وأنصبّ عرقا، وتألّمني أعضاء جسدي وتكابدني، وحرّ جسمي، ومضني جسدي، وفضّ صدري، وانبطح بطني، وخفّ خدّي، وبدا عظم صدري، وبدت شراييني كغصون ملقاة على الطريق، وبعثرت شعر رأسي كشعر كلب مصاب، وكانت رجلي، وتبدو جسدي كسيارة قديمة، وأتنفّس بشدّة، ويبيضّ جسمي كجسم كالحامل، فملاً أراد الأسرة حزنا، ويسعون يمنة ويسرة كالحوت في البحر، وانكبّ الجميع كراكب النخلة، وتفكّر أمّي حتى في مشيها، وهذا الجميع في بيتي كأنهم في جوف الليل.

أنت يا أبي، أخذت تبحث عن سبب مرضي، لأنّك تعجز وصف مرضي، لا تعي ما أصابني، أكان الصرع أو الحمى، أكان ألم البطن أو أمعاء الصدر، أو ألم الظهر، كل ذلك غاب عنك، ألا بعد ما شاء الله فأرشدك إلى طبيب فاستطعت القيام واللعب.

"ماذا قدّمت لك إلى الآن، فلا تفكّر في الموت يا والدي، دعني أعمل وأجمع بعض الأموال، فأهديك "أبادا" وألبسك "دندغو"، فأحسن إليك إحسان الابن لأبيه. فهذا ما بوسعي قوله، وأنا مستعدّ للذهاب حيث أرسلتني، لأذهب إلى البيت وأعدّ أمتعتي.

"تلك هي مقولتي إلى أن ذهبت إلى أمي، وأخذت أمتعتي في صباح اليوم الثاني متوجّهًا نحو المسير.

ما ملكت نفسي من مفارقة والدي لثلاثة أيام، لكن شمّرت بساعي الجد وأخذت أصرّف اهتمامي نحو هدي، لا أستطيع أن أعدّ جميع ما لقيت قبل الوصول إذ هي أولى مرّة أمرّ بتلك التجربة. وكان ذاك الطريق محطة صيد للذين يصطادون بني الإنسان، ولحسن حظي ما لقيتهم، ومع ذلك، صدفنا في طريقنا قطاع الطرق ثلاث مرات، ومرّة؛ قتل منّا اثنا عشر رجل.

وأخيرا، حمدت الله لأنني وصلت حيث أخي الصغير بعد ثلاثة أشهر غادرت البيت. لكن أخي قد سمع بوصولي فلاح بالفرار إلى قرية أخرى، وبحث عنه فلم أجده، وبعد مدّة طويلة سمعت بوجوده في القرية، وناشدت بعض الناس فأرشدوني، وهداني الله حيث أدبر لما دخلت القرية، فأسرعت إليه قبل أن يقلب وجهه وأخذته. لما ألقى النظر إليّ ألمه الأمر، إلا أنّه حبّه لي ما تغيّر، فانبطح على الأرض وحيّاني بخير تحيّة. بادلته التحيّة ومدحته بألقابه المختلفة، ثمّ ذهب بي إلى مسكنه ووجد لي طعاما.

فاتحته القضية التي جاءت بي في الليل، ووبخته على صنيعه، حتى لا نطيل الكلام، عازمت العودة إلى البيت مع أخي بعد شهر قضيت في تلك المدينة. رجعت إلى البيت بعد سبعة أشهر غادرتها، ووصلت البيت بعد ثلاثة أيام لوفاة والدي وكان ذلك بعد دفنه.

"يا صديقي، كدت أجنّ لوفاة والدي، وما عرفت أنا على قيد الحياة أو في حياة البرزخ لمدة ثلاثة أسابيع، خرجت بكرة يوم إلى قبر أبي فبكيت وقلت متألماً: "هذه حياتي، هذه حياتي، يا والدي، تركتك إنساناً ورجعت وكنّت دفيناً! أبي الذي تركت على العافية انقلب ميتاً! لقد اقتطف الموت الرجل الشجاع، قد ذهب الموت برجل ذي شأن! لم يعد لي مشاور، من أشاور غير أبي! على من أتوكل! ومن أخبر بمأساتي! ومن أفتح بالكلام في جوف الليل! آه! الموت! أيها المفجع! بماذا أسأت إليك! اصرف عني، انصرف عني، أنت العدو لمئات من مخلوقات الخالق على وجه الأرض. فالموت نهاية أوراق الأشجار في الغابة، والموت مصير الحية المنبطحة، ونهاية الطير في الفضاء حتماً هي الموت، كما أنّ الموت نهاية الحيوانات ذوات أربع أرجل. فالموت ذو عنف القلب، لا يرحم أحداً، ولا يرتدّ إذا عزم. فالموت لا يبالي حتى لو بكينا حتى عمت العيون، ولا يكثر حتى لو ضربنا أنفسنا على الأرض، ولو لبسنا السواد فلا يبالي. فالموت لا يهتم للقربان، ولا تهتمّ الأصنام، كما أنّ الشعوذة لا تصيبه بشيء. آه! الموت، فماذا تصنع يوم فنائك! فكن مستعداً وانتظر الحكم في ساحة القيامة، سيتحاكمك المخلوقين إلى الخالق، وفي ذلك اليوم، حتى الذبابة تشكيك، وحتى النمل تشهد، ولا تجد لك نصيراً من الإنس والحيوان، لأنك قد أفسدت أنواعاً من صنع الخالق، وقصرت حياة الحيتان، وأبطلت استمتاع الحشرة، وما سلمت الدودة من سوطك. الضفدع والحلزون والسلحفاة، الحفّاش والعنقاء، الفأر والجرذ، الحية والفيل، ستواجهك هذه المخلوقات بالمعركة. آه! الموت، يا عديم الرحمة، استندت أمرك إلى الله.

"هكذا عبّرت عند قبر أبي ورجعت إلى البيت. أحسنوا دفن والدي مع أنني لم أشاهده قبل الدفن، وقد أخبرني إخواني حسن معاملة العائلة بالجثة وذبحوا أبقاراً كثيرة. وأدركت كثيراً من قدور المديد. وضُرب الطبل لأيام كثيرة في بيتنا. واحتفلت بالجنّازة قدر استطاعتي، لكنّ إنفاقي لم يصرف قلبي من أبي، وإذا

ضحكت في الخارج، فالحزن الدقيق يعمّ أعماق قلبي. قد قسّم أبي التركة قبل وفاته فما اختلفنا في ذلك. ولزّوجت أمي بأحد أفراد عائلة أبي لولا رفض أمي، أنّها لا تتزوّج أحدا على وجه الأرض، وتكرس وقتها في بيت أبي لتعتني بنا. أنا أوّل مولود، علمت بعد وفاة أبي ما يكابد الكبار من المتاعب، وحمل الكبار أثقل من الحديد. وبدأت أقوم بما لم أقم به من قبل، وصار الذي لم يهمني من قبل شأني المتين، وصرت حاكما بين أهلي.

"منذ أن أصابتنى تلك الكارثة، ما من يوم إلا وأرى أبي في الحلم وكأنه على قيد الحياة، والذي اندهشت منه أكثر كوني أنسى في الرؤية أنه قد توفي فيبدو كأنه حيّ. فإذا رأيته في المنام أستيقظ باكيا.

"ذات يوم، رأيته في ثوب "أبادا، وجسمه كجسم الطفل، في منتهى الجمال. على يده مرآة، واراني وقال أن ألقى النظر فيها. لما نظرت فيها رأيت طريقا واسعا عريضا ونظيفا. وجانبي هذا الطريق يمينا ويسارا كأنّ الحنقر ملقى في طري الطريق، ورأيت بيتا جميلا في منتهى ذلك الطريق يشبه بلاط الملك. ولا بدّ أن يجتاز الإنسان بعض التحديات قبل الوصول إلى هذا المكان، ورأيت حيوانات مفترسة على شاطئ هذا الطريق يحرصونه. فسألني أبي عما رأيت في المرآة بعد ما أمعنت النظر وأخبرته بما رأيته، ثم أجابني قائلا: "هذا مستقبلك، ستتعب في بداية مسيرك، فالسعادة تكون عاقبتك، لكن إن فزعت عند المصيبة سوف يصعب عليك الوصول إلى السعادة.

"هكذا أخبرني والدي أوينديبو في رؤيتي، واستيقظت بعد مقولته. وفي ذات يوم بعد وفاة أبي، وكنت أستعدّ للخروج إلى حفلة إذ دخل علي رسول الملك، وتبادلنا التحية ثم أخبرني أنّ الملك أمر أن آتية على الفور. استغربت من الأمر إذ لم أزر بلاط الملك مسبقا وما أجمت، إلا أنّ أبي يزور البلاط أحيانا قبل وفاته، لأنّه والملك على صداقة قبل توليته السلطة.

"قلت لرسول الملك أن يرجع وسوف أدركه، غيّرت لباسي، ولبست قميص تحتاني وفوقه ثوب فضفاض، وجعلت فوقه لباس "أبادا" كان لأبي وسروال "إيتو"، ولبست قلنسوة ذات وجهين، وجعلت ختما ذهبيا صنعتها حديثا على الصبابة في يدي اليسرى، ثم أخذت أمي رداء لها من نوع "أرن" وجعلته على عنقي، ثم لبست حذاء مصنوعة بجلد الحيّة، وربطت ساعة جديدة ابتعتها في سفري على عنق يدي اليسرى، وأخذت عصي الذي اشتريت حديثا ثم أخذت معي غلاما فتوجّهت نحو بلاط الملك.

كنت مسرورا كما أمشي، ويكرمني الناس كأنني أكبر من هذا القدر. وينبطح عشرات من الذين لا يكثرثون لي من قبل ويقولون: "لتعمّر، لتعمّر" وأبادلهم التحية قائلا: "كن بخير" كما يقول الكبار للصغار. وتأتي بعض النسوة اللاتي يبعن الأمتعة أمام بيتنا ويركعن ويزلن وشاحنن ويبجلنني إكراما.

واندهشت من الملك لما دخلت عليه إذ قام مباشرة وتجّه إلى غرفته. وبعد قليل أخبرني وزرائه أنني أشبه أبي لما طلعت في لباس "إتو"، وهذا الذي ذكر الملك وفاة أبي، فدخل إلى الغرفة يبكي لأنه محرّم عليه البكاء عند العوام.

ولما رجع وجلس على الفراش، شرع في الكلام وكنت دانيا: "اقترّب، يا ابني إرنكيرندو، فاقتربت من الفراش وانبطحت أرضا، واستمرّ الملك في حديثه: "إرنكيرندو، أنا الذي استدعيتك. أحسنت في جنازة أبيك، نعم الخليفة أنت، أحسن الله خلفته. اندهشتني وفاة أبيك، لأنّه جاءني قريب وفاته وهو على تمام الصحّة، وتجاذبنا أطراف الحديث، إلى أن جيء بخبر وفاته بعد خمسة أيام! أسفّنتي وفاته، لأنّه صديق مخل، ولا يستهين بأمر، ويزورني أحيانا في البلاط مع أنّه سيد أسرته. ولهذا استدعيتك اليوم يا ابنه إرنكيرندو، فلا تدع السوء يمسّ اسم العائلة، وفي آخر زيارته إياي، أخبرني كيف تخضع له وتعامله معاملة الابن المحسن، وعن حبكما المفرط لبعضكما البعض. وصرّحني أنه قد علّمك جميع ما

عنده من الشعوذة، ولم يبخل عليك بما عنده من الحنكة، وعبر لي مدى تأسفك يا إرنكَيْرِنْدُو على عدم ذهابك مع أَكْرَاوْغُنْ والأقران إلى جبل لنبدو من أجل المهنة التي كلّفك، وأنك ستزداد بعد رجوعك خبرة ورجولة. والآن يا إرنكَيْرِنْدُو، في انتظارك مهمة أخرى، ولو أنّ أباك على قيد حياة لكان من أرسل. وهذا الذي يثبت للناس مدى همّتك، إن كنت قادرا على حمل مسؤوليات الكبار أو لا، وأبوك أوينديبو ليس رجلا حقيرا.

"فالمهمة التي أودّ أن أكلّفك هي أن تقود الصيادين نحو جبل "إِرُنُو" والذي في غابة "إِلِيْبِيْجِي"، فتقطفوا لي ثمار شجرة إرنو. سميت تلك المدينة باسم شجرة إرنو وكانت شجرة غريبة، وقد أخبرني أبي عن تلك الشجرة قبل أن لقي حتفه وخلفته. فإذا غُرست هذه الشجرة في منبع الماء بأي أرض وشرب أحد من الماء صار ذا فطن. نعم؛ فما سبب العلى في الحياة مطلقا؟ أحسبه الفطن. عدم التفكير هو الذي يؤدي بالإنسان إلى السرقة والخيانة وغصب الآخرين، فالفطن هو الذي يحرك السيارة، وكان قلب القطار، وبه يطير بني الإنسان في الفضاء، فالفطن أهمّ صلاح الفائز، وهو السرّ في الأعشاب، وفوق ذلك؛ إذا كان الإنسان يقول بإعجاز الربّ فهو مغفل. فوائد الفطن كثيرة، وكان الفارق الوحيد بين الإنسان والحيوان. لهذا يا إرنكَيْرِنْدُو ابن أوينديبو، فابحث لي عن ثمار شجرة إرنو.

"هكذا عبّر الملك، واستمعت إلى حديثه، وبعد ما أنهى من حديثه، رددت على مقوله قائلا: "كَايِيْسِي"، ليدوم التاج رأس الملك والحداء رجله، سمعت جميع قلت حقا، فالرأس هو المسؤول عن بقية الجسد، والملك رأس البلاد، أنت الأمر فينا. بما أنّ اليد لا تتكبر على الرأس، ولا تقول الرجل أنها ليست تحت رعايته، فالأمر يطابقني حيث لا أقدر على التكبر عليك. كَايِيْسِي، أريدك أن تكون على علم أنّ الأبوية تتجاوز الذي تزوّج بأم شخص، والأمومية لا تقتصر على التي أنجبت شخص، قد يكون الأب واحد وتكون الأم واحدة، في حين قد يكون الأب والأمّ

اثنين أو فوق الاثنين، وقد رأينا من لم يمت أبوه ويعيش يتيما، فكل من يحبك بمنزلة أبوك ولو كان من المشرق أو المغرب. كَابِيَسِي، لقد توفي أبي بلا جدل، وليعمّر الملك، أنا على علم أنك قادر لتكون أبا لي.

"وعن المهمة التي كلّفتني، سوف أذهب، فبمن أتشبه إن رفضت الذهاب! أريد أن أخطأ من بقلبه أن أسرتنا تخمد بوفاة أوينديبو، وأن قمر بيتنا مال إلى الزوال لزوال أوينديبو، ذاك إساءة الظن يا كابييسي، كان كذبا، إن كان توفي أوينديبو فقد خلّفه أوينديبو. لقد عزمت على أن أنعل بنعله، وأسير نحو نهجه، وقد جهّزت نفسي لأحمل مسؤوليات أبي. آه! وللأسف، هكذا رحل أوينديبو، وقد أحسن إليّ أبي بكثير، نعم؛ أحسن إليّ، أحسن إليّ بالكثير، أبي أوينديبو، أبي.

"كابييسي، أريد منك شيئا واحدا، أريدك أن تبعث معي شخصا ذا شأن فنطوف بالقرى المجاورة فنعلن السفر إلى غابة إلبجي. وعلينا أن نعجل الذهاب، لأن كثيرا من الصيادين قد ذهبوا مع أكرأوغن. وبعد ذلك، أرجو أن ترسل الأعيان إلى الملوك الأقوياء في بلدان مختلفة فيخبروهم عن شأن هذا السفر ليرسلوا معنا الصيادين. وسأسرّ بهذا لو تفعل وسيخرج بعض الصيادين الذين يخفون أنفسهم، ويشتهر الذين لا شهرة لهم. ولا يبقى بعد ذلك إلا تعيين يوم سفرنا. ليعمّر جلالته الملك.

"هكذا قلت للملك، وفرح بي، نظر إلي فابتسم وقال: "نقول أن أويندبو قوي، بل هذا أقوى من أويندبو."

"وبعد ذلك، أمر الملك أن يقدم إلي الطعام فننفذ أمره، وأمر بالخمير فجيء بزجاجتين، والملك نفسه من قدّمها، حتى لا أطيل الكلام، أفرغنا الزجاجتين قبل مغادرتي البلاط، واحمرت عينايا وأنحيت بقلنسوتي وأميل هنا وهناك.

صادف خروجي من البلاط ضارب الطبل يمشي فأمرته أن يضرب ورائي. يضرب الطبل وأنا كذلك أرقص. وانضم إلينا أصدقائي وأفراد عائلتي الذين وصلهم

الخبر في الرقص، وقد كثر الناس ورأي لما نصل البيت، وأنفقت كثيرا من الأموال، كان يوم نشاط.

"أرسل إلي الملك في اليوم السابع يخبرني أنه قد وجد من يبعث معي إلى القرى المجاورة ولأشعره بالموعد الذي يطيب لي للذهاب. وحددت للملك سبعة أيام. " ولما تمّ الميقات، جهّزت أنا ورسول الملك، فطفنا بالجوار. وكما نطوف بين قرية وأخرى وأيكة وأخرى يرحّبون بنا ويستقبلوننا أحسن استقبال، وما لمسنا ما حملنا من الزاد حتى رجعنا، فأثمرت رحلتنا ثمارا حسنا.

وفي تلك الرحلة صحبنا معنا خلقا غريبا المسمى إِيْمِي أُلُوْكُزُن الساكن في غار الجبل. ذهبت وحيدا إلى حيث رأيته. لما حللنا مدينة وأخبرت أنّ الرجل يسكن جانب المكان، سعيت وراءه و جهّزت نفسي قبل ذهابي، دُلّلت الطريق نحو بيته، وكان مسلك الفلاحين، وبعد ما سرت من ساعتين، أشار إليّ الدلال طريقا ضيقا نحو اليسار يشبه طريق الصيادين نحو الغابة. رجع الرجل بعد ذلك وتركني وحيدا أجتاز الطريق نحو الغابة. وحدّرتني قبل رجوعه أن أتحدّر من ذلك المخلوق الغريب كي لا يفترس بي، لأنّ إِيْمِي أُلُوْكُزُن أكثر المخلوقين على الأرض أكلًا وشربًا. مهما يأكل من الطعام فلا يشبع، ولو شرب ماء النهر فلا يرتو، إنّه حقا خلق غريب.

هذه قصة حياته: ألبس نفسه ثوب الخلود دون أن يأذن من الخالق وذلك قبل انحداره من السماء إلى الأرض، لبسه حين خرج المسؤول عن ثوب الخلود المسمى أُوْدُوْغُو، ثم جاء إلى الأرض، مع أنه مولود من قبل البشر فلا يموت أبدا. وما تغيّرت أخلاقه حتى في الحياة الدنيا. ففي البداية لما خلق الله بني الإنس في الأرض وما فيه مرتكب الذنوب، كانت الملك تنزل من السماء وتلاعب أهل الأرض ويتداعبون. وذات يوم، دعى إِيْمِي أُلُوْكُزُن أهل السماء وأهل الأرض إلى مأدبة، فذبح ابنه البكر لأنّ اللحم لم يكف الحضر وشوّهه، وذبح ابنته البكر لأنّ الخمر

ما كفت فجعلت دمها في العلبة، فعلم أهلب السماء صنيعة بحضورهم فلعنوه
أنّه لن يشبع مهما يبلغ الطعام إلى حين توبته، ولن يرتو ولو شرب ماء النهر،
ولهذا صار خلقا غريبا منذ يومه ذاك.

لما وصلت مكانه، لحف سوءته بإزار قصير، ووجدته يأكل ثورا ملقاة، وحين
قربت من مكانه، قرأت عليه بعض الشعوذة لألّين قلبه نحوي، بعد ذلك قلت:
نعم العمل يا إيمِي أُلُوكُنْزُن، لم يلتفت إليّ، بل صرّف انتباهه نحو الطعام
وانكبّ عليه، فصبرت عليه قليلا. ولما أفرغ من الأوّل ناديته ثانية: نعم العمل يا
إيمِي أُلُوكُنْزُن، فنظر تجاهي وردّ عليّ بالأنف قائلا: نعم، ثم شرع في الأكل ثانية،
ولما أفرغ من أكل الثانية نظر إليّ بعمق وردّ عليّ قائلا: ماذا تريد؟ وأجبته
وقلت: "أنت من أبحث عنه، أنت الذي سعيت وراءه، إنما بعثني ملك بلادي أن
أستدعوك، كي نذهب معا إلى رحلة. وفي رحلتنا هذه سوف نصل إلى مكان كان
مسكن الحيوانات، حيث تفطر بأكثر من خمسين ثورا، وستين للغداء،
 وخمسمئة ثعلبا للعشاء، هذا من جانب، ومن جانب آخر، سوف نذهب إلى
جبل أرنو في غابة إلبجي، ولا شك أنك ستشفي من مرض الأكل إذا تناولت ثمار
هذه الشجرة، فهذا سبب زيارتي يا إيمِي أُلُوكُنْزُن، نعم الأكل والشرب.

لم أقل فوق هذا، فقام هذا المخلوق بمجرد ما سمع بالطعام وتبعني، وسرنا
معه إلى أن وصلنا بلادنا. ولما وصلت البيت قد توفيت والدتي."
هكذا قصّ ضيفي قصّة حياته، وقد جنّ الليل لما قصّ إلى حيث وصلنا،
واقترحت بتأجيل البقية إلى اليوم التالي، فنواصل المسير.

التحليل التطبيقي

المستوى المعجمي

يظهر النص بُنية معجمية ثرية تكشف عن أفق ثقافي وديني متداخل. فنجد
تكرار مفردات ترتبط بالمجال الإيماني مثل: الله، إله، الدنيا، وهي ألفاظ تحيل إلى

- البعد العقدي المركزي. كما ترد ألفاظ ذات دلالة وجودية . مثل *العجائب*، *الحياة* . لتربط التجربة الإنسانية بالمطلق الإلهي.
- يتضح من تحليل النصوص السردية ذات البعد الثقافي أن المعجم الموظف يتسم بخصائص أساسية:
- الحقول الدلالية: يكثر استعمال ألفاظ الطبيعة (الأرض، المطر، الليل، الدين، الأخلاق، الطبيعة، الموت والحياة، الحكمة الشعبية) بوصفها رموزاً للخصب والاستمرار.
 - التكرار: يتكرر معجم القيم (مثل لفظ *الله*، *الحياة*، *العجائب*، الكرم، الشجاعة، الإيمان) لتعزيز البعد الإقناعي.
 - المجاز والرمز
 - يستعمل السارد ألفاظاً ذات حمولة رمزية تحيل إلى الذاكرة الثقافية للجماعة.
 - الاشتقاقات والتضادات المعجمية
 - العلاقة بين اللفظ والرمز الثقافي
 - الحقل الديني: *الله*، *إله* ويؤكد المرجعية العقدية.
 - الحقل الكوني: *الدنيا*، *العجائب* ويبرز علاقة الإنسان بعالم مليء بالتغير والغرابة.
 - الحقل الأخلاقي: يحضر ضمناً من خلال النفي *ليس من إله مثل الله* (وهو يرسخ قيمة التوحيد ورفض البدائل الزائفة).
- كذلك نلاحظ ثنائية التضاد: *الدنيا* مقابل *الله*؛ الأولى متغيرة عجيبة، والثاني ثابت مطلق. هذا التضاد يشحن الخطاب بطاقة دلالية عميقة، تجعل النص أداة للتربية والتوجيه.

من زاوية التداول المعجمي، يستند النص إلى اقتصاد لغوي: كلمات قليلة لكنها مشحونة بدلالات كثيفة، مما ينسجم مع أسلوب الأمثال أو الحكم الشفوية التي تخزن التجربة الجمعية.

المستوى التركيبي

النص يقوم على جملة خبرية أساسها: *الدنيا مليئة بالعجائب*. هذه الجملة تصف الواقع وتقرر حقيقة عامة. يتبعها تركيب آخر: *وليس من إله مثل الله*. هنا يتحول التركيب إلى صيغة نفي مقرون بالتوكيد عبر أداة *ليس*، ليؤدي وظيفة دينية تبجيلية.

- البناء الإسنادي: يميل النص إلى استخدام الجمل الفعلية لإبراز الحدث والحركة، مما يعكس ديناميكية الخطاب.
 - التوازي التركيب: يظهر في العبارات المزدوجة التي تعكس جدلية الحياة (الموت/الحياة، الظلام/النور)
 - الربط النصي: استخدام أدوات العطف والشرط يضمن ترابط البنية السردية، الروابط الزمنية، والروابط السببية.
 - تراكيب الجمل: طول الجملة، استخدام العطف، الشرط، الجمل التفسيرية.
 - أساليب الإسناد (الإخبار، الإنشاء، الأمر، النهي).
- من الناحية التركيبية:

- الخبرة الأولى تؤسس الأرضية: وصف الواقع (الدنيا)
 - النفي الثاني يرسخ الموقف العقدي (التوحيد).
 - الربط بين الجملتين تم بواسطة حرف العطف و، وهو عطف يربط بين حقيقتين: حقيقة الوجود وحقيقة العقيدة.
- تُظهر البنية التركيبية اعتمادًا على الإيجاز؛ فجملة قصيرة ومكثفة تحمل معنى كونيًا وعقديًا شاملاً.

كما أنّ النص يوظّف أسلوب الإسناد الخبري الذي يُضفي على القول طابع التقرير والموضوعية، مما يعزز قوته الإقناعية في المجال التداولي.

المستوى الدلالي

النص يتسم بكثافة دلالية تجعل عباراته قابلة للتأويل على مستويات متعدّدة:

- المعنى المعجمي: الكلمات تحمل معانيها المعجمية المباشرة (مثل "الأرض" بمعناها الطبيعي).
 - المعنى التداولي/الضماني: نفس المفردة قد تُحيل إلى معنى ثقافي أعمق (الأرض = الهوية/الوطن).
 - التقابل الدلالي: يظهر في تضاد القيم (الخير/الشر) بما يعكس صراعاً سردياً وثقافياً.
 - دلالة الصور البلاغية (التشبيه، الاستعارة، الكناية).
 - الانتقال بين المعنى الحرفي والمجازي.
 - التناصّ مع النصوص الدينية (القرآن، الحديث).
 - إبراز القيم المضمرّة (الموت، الفناء، العدل الإلهي).
- وهنا معاني دلالية أخرى تستمد من النصّ، منها:
- المعنى الحرفي: العالم مليء بالغرائب، ولا وجود لإله يضاهي الله.
 - المعنى الرمزي: الحياة الدنيا بما تحويه من تغير وغرائب ليست سوى مرآة لعجز الإنسان وحاجته إلى مرجعية عليا هي الله.
 - المعنى العقدي: النص يختزل عقيدة التوحيد ويرفض الشرك أو التشبيه.
 - فالتركيب مليئة بالعجائب يُحيل دلاليًا إلى فكرة أنّ العالم موضع اختبار؛ أما ليس من إله مثل الله فهو تقرير للفرادة الإلهية المطلقة.
 - تتجلى هنا آليات بلاغية:
 - التضخيم في مليئة بالعجائب لإبراز غنى الحياة وتنوعها.

- الحصر عبر أداة النفي في ليس من إله مثل الله، لإرساء عقيدة الوجدانية.
- النص يوظف التناص مع القرآن الكريم، حيث يذكر بأسلوب الآيات التي تجمع بين الوصف الكوني والتقرير العقدي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... لآيَاتٍ﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. هذا التناص يمنح النص قوة سلطوية مضاعفة.
- المستوى التداولي.
- أفعال الكلام: نجد تنوعاً بين الإخبار (لنقل الوقائع) والأمر/النصح (لتوجيه المتلقي) والتحذير والوعد والحكمة.
- الإقناع: يوظف السارد الحجج الثقافية والأمثال الشعبية لترسيخ مصداقيته.
- الاستلزام الحوارية (Grice, 1975) غالباً ما يتجاوز الخطاب المعنى الحرفي ليبنى معنى ضمناً.
- المخاطب الضمني في النص (القارئ/المستمع/الجماعة الثقافية).
- كيفية بناء سلطة المتكلم عبر الخطاب.
- من منظور التداولية، النص يُنتج مجموعة من أفعال الكلام:
- الإخبار: العالم مليء بالعجائب.
- التوكيد: تقرير التوحيد الإلهي.
- التوجيه غير المباشر: دعوة المتلقي إلى التأمل والتسليم بالعقيدة.
- كما يحوي النص استلزاماً حوارياً ضمناً: إذا كانت الدنيا مليئة بالعجائب، فالمطلوب من الإنسان أن يعتبر بها. وإذا لم يكن هناك إله مثل الله، فالمطلوب أن يعبد وحده.
- الجمهور المخاطب ضمناً هو المجتمع المتلقي الذي يعيش تجربة وجودية أمام عالم غامض، ويحتاج إلى تفسير عقدي وأخلاقي.

وبذلك يشكل النص خطابًا سلطويًا يقوم بوظيفة التوجيه والوعظ، دون أن يصحّ بذلك مباشرة.

المستوى الثقافي والاجتماعي

النص السردي هنا ليس مجرد لغة، بل يمثل أداة لإعادة إنتاج الثقافة:

- القيم الجمعية: مثل الشجاعة، التضحية، الإيمان.
 - الذاكرة الثقافية: توظيف الأساطير أو الأمثال يعيد إنتاج هوية الجماعة.
 - السلطة والمعرفة: (Foucault, 1972) الخطاب أداة لتثبيت السلطة الرمزية.
 - كيف يعكس النص الموروث الشعبي الإفريقي-الإسلامي.
 - حضور الحكمة الشفوية والتجربة الجمعية.
 - قيم الأخلاق، العدالة، الخوف من الله.
 - النص كأداة للتربية والوعظ.
- كذلك يعكس النص بيئة ثقافية تتأسس على:
- الموروث الإسلامي: تجذّر عقيدة التوحيد وحضورها في الخطاب اليومي.
 - الحكمة الشعبية: استخدام أسلوب المثل أو الحكمة المختصرة التي تنتقل شفويًا بين الأجيال.
 - التجربة الإنسانية الجمعية: الوعي بالعجائب والتقلبات يعكس ثقافة جماعية ترى في الحياة الدنيا موضع ابتلاء.
- إذن، النص لا ينفصل عن بنيته الثقافية؛ فهو يجمع بين عمق التجربة الإنسانية في مواجهة غرابة العالم، وعمق الإيمان الذي يضع الله مركزًا لكل تفسير.

من منظور نقد الخطاب (Critical Discourse Analysis) ، فإن النص يعيد إنتاج سلطة الدين كمرجعية نهائية لتفسير الظواهر، وهو ما يرسّخ التماهي بين اللغة والسلطة الثقافية والاجتماعية.

المناقشة

من خلال المستويات الخمسة يتبين أن النصوص السردية ذات البعد الثقافي تؤدي وظائف تتجاوز الحكي إلى بناء الهوية الثقافية. المستوى المعجمي يعكس اختياراً متعمداً لألفاظ التراث، بينما التركيبي يكشف عن جدلية القيم. أما الدلالي فيُظهر تقابلات تعكس رؤية الجماعة للعالم. التداولي يوضح مقاصد المتكلم في التوجيه والإقناع، وأخيراً الثقافي يكشف عن تمثيل القيم واستمرارية الهوية.

الخاتمة

من خلال التحليل المتعدد المستويات، يتبين أن النص القصير يتجاوز حجمه اللغوي المحدود ليصبح حاملاً لخطاب ثقافي-ديني واسع. فهو يعبر معجمياً عن الحقول العقدية والوجودية، ويستند تركيبياً إلى أسلوب التقرير، ويؤسس دلاليًا للتضاد بين الدنيا والآخرة، ويشغل تداولياً كخطاب وعظي موجّه، ويعكس ثقافياً الموروث الشعبي الإسلامي.

وبذلك يُعد النص نموذجاً مصغراً لكيفية اشتغال الخطاب على مستويات متعددة تتكامل لإنتاج المعنى، فبذلك، أبرزت الدراسة أن تحليل الخطاب أداة ناجعة لفهم النصوص السردية ذات البعد الثقافي؛ إذ يُمكن من تتبع البنى اللغوية وربطها بالمعاني الثقافية والاجتماعية. وقد تبين أن هذه النصوص لا تكتفي بسرد الوقائع، بل تُعيد تشكيل الذاكرة الجمعية وتعيد إنتاج القيم.

توصي الدراسة بضرورة توسيع دائرة الدراسات العربية في تحليل الخطاب، دمج الأدوات الغربية بالنقد العربي التراثي لإغناء التحليل. دراسة نصوص متنوعة (دينية، تاريخية، أدبية) من منظور الخطاب.

قائمة المراجع

- Fairclough, N. (1992). *Discourse and Social Change*. Polity Press.
- Foucault, M. (1972). *The Archaeology of Knowledge*. Pantheon.
- Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. in Cole, P., & Morgan, J. (Eds.), *Syntax and Semantics* (Vol. 3, pp. 41–58). Academic Press.
- van Dijk, T. A. (1997). *Discourse as Structure and Process*. Sage.
- Hassan, T. (2006). *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: عالم الكتب.
- مفتاح، محمد. (١٩٨٥). *مفاهيم موسعة لنظرية الشعر*. الدار البيضاء: دار توبقال.
- خشيم، علي فهمي. (١٩٩٠). *اللغة والإنسان*. طرابلس: الدار الجماهيرية.
- عبد السلام المسدي. (١٩٩٣). *اللسانيات وأسسها المعرفية*. بيروت: دار توبقال.
- العواضي، سعيد. (٢٠١٢). *تحليل الخطاب: المفاهيم والإجراءات*. صنعاء: دار الفكر.